

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى :

[فصل يشتمل على ملخص غزوة الخندق التي ابتلى الله فيها عباده المؤمنين وزلزلهم ، وثبت الإيمان في قلوب أوليائه ، وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق وفضحهم وقرّعهم . ثم أنزل نصره ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وأعز جنده ، ورد الكفرة بغیظهم ، ووقى المؤمنين شر كيدهم ، وذلك بفضلله ومنه . وحرّم عليهم شرعاً وقدرّاً أن يغزوا المؤمنين بعدها ، بل جعلهم المغلّوبين وجعل حزبه هم الغالبين ، والحمد لله رب العالمين . وكانت في سنة خمس في شوالها على الصحيح من قولی أهل المغازي والسير ، والدلیل على ذلك : أنه لا خلاف أن أحدًا كانت في شوال من سنة ثلاث ، وقد تقدم ما ذكره أهل العلم بالمغازي أن أبا سفيان واعدّهم العام المقبل بداراً ، وأنه ﷺ خرج إليهم فأخلفوه لأجل جذب تلك السنة في بلادهم ، فتأخروا إلى هذا العام . قال أبو محمد بن حزم الأندلسي في مغازيه : هذا قول أهل المغازي ، ثم قال : والصحيح الذي لا شك فيه أنها في سنة أربع ، وهو قول موسى بن عقبة ، ثم احتج ابن حزم بحديث ابن عمر : " عرضتُ على النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني " . فصح أنه لم يكن بينهما إلا سنة واحدة فقط . قلت : هذا

الحديث مخرّج في الصحيحين وليس يدل على ما ادّعاه لأن مناط إجازة الحرب كانت عنده ﷺ خمس عشرة سنة ، فكان لا يجوز من لم يبلغها ، ومن بلغها أجازته ، فلما كان ابن عمر يوم أحد ممن لم يبلغها لم يجزه ، ولما كان قد بلغها يوم الخندق أجازته ، وليس ينفي هذا أن يكون قد زاد عليها سنة أو سنتين أو ثلاثاً أو أكثر من ذلك . فكأنه قال : وعرضت عليه يوم الخندق وأنا بالغ أو من أبناء الحرب . وقد قيل : إنه كان يوم أحد في أول الرابعة عشرة من عمره ، وفي يوم الخندق في آخر الخامسة عشرة ، وفي هذا نظر ، والأول أقوى في النظر لمن أمعن وأنصف ، والله أعلم] .

هذا فصلٌ عقده الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في ذكر ملخص لغزوة الخندق ويقال لها أيضاً « غزوة الأحزاب » .

يقال لها «الخندق» : لأن النبي عليه الصلاة والسلام حفر بإشارة من سلمان الفارسي خندقاً من الناحية الشمالية للمدينة يربط بين حرّتي المدينة ، وهي الجهة السهلة دخولاً والأيسر للأعداء وهي التي فعلاً تجمّعوا للدخول من جهتها ، أما جهة الغرب وجهة الشرق ففيهما حرتان يعسر معها دخول الجيوش ، والجهة الجنوبية للمدينة فيها بنو قريظة وفيها المساكن والبيوت ، وبين المسلمين وبني قريظة عهدٌ وإن كانوا قد أخلفوه في أثناء المعركة - كما سيأتي - لكن الجهة المكشوفة هي الجهة التي تقع عن المدينة ناحية الشمال ، فسُميت غزوة الخندق لذلك .

وتسمى «الأحزاب» : لأن الذين جاؤوا لمقاتلة المسلمين في هذه الغزوة ليسوا قريشاً وحدهم ، وإنما قبائل متعددة تألبت وتحالفت وتجمّعت وتجمهرت لمقاتلة المسلمين وكان لليهود بني النضير دور بارز ودور فاعل لتجميع هذه القبائل لمقاتلة المسلمين ، وهذا أيضاً سيأتي بيانه عند الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

قال ابن كثير رحمه الله في المقدمة لبيان هذه الغزوة قال : ((التي ابتلى الله فيها عباده المؤمنين وزلزلهم)) لأنه حصل شدة وخطبٌ جسيم وفزع القلوب وهال الأمرُ الناس ، فقال : ((وثبت - أي بعد ذلك - الإيمان في قلوب أوليائه وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق وفضحهم وقرّعهم ، ثم أنزل نصره ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وأعز جنده

، وردَّ الكفرة بغیظهم ، ووقى المؤمنین شر کیدهم ، وذلك بفضلہ ومیّہ)) ؛ لأن هزيمة الأحزاب التي تجمعت لمقاتلة المسلمين لم تكن عن قتال وإنما كفى الله ﷺ المؤمنین القتال ، وهزمهم جل وعلا بالريح وجنود ، قال : لم تروها كما سیأتی بیان ذلك .

قال : ((وحرّم علیهم شرعاً وقدرّاً أن یغزوا المؤمنین بعدها)) أي بعد غزوة الأحزاب ، بمعنى أنه لن یكون بعد هذه المرة تجمع من المشركین ومجیء للمسلمین فی ديارهم ، بل الذي سیحصل هو العکس وهو أنّ المسلمین هم الذين یجتمعون ویأتون إلى الکفار فی ديارهم نصرةً لدين الله وإعلاءً لكلمة الله ولیكون الدین كله لله ، أما أن یأتوا مثل مجیئهم فی أحد ومثل مجیئهم إلى بدر ومثل مجیئهم المرة الأخيرة إلى المدینة هذا لن یحصل بعد ذلك .

أما شرعاً : فإن غزو المسلمین حرام فی شرع الله ﷻ ووحیه الذي أنزله علی أنبیاءه ، وهذا من أظلم الظلم وأشد الباطل أن یحارب الإنسان ویعادي أنبیاء الله وأهل الإیمان ویعادي دین الله ﷻ .

وحرّم علیهم ذلك قدرّاً أي : أن فیما قدره الله ﷻ وكتبه وقضاه فی الکتاب السابق أن المشركین لا یغزون المسلمین بعد غزوة الأحزاب .

ومن أهل العلم من استدل علی أنه لا یحصل من الکفار مجیء وقدم لمقاتلة المسلمین بقول الله ﷻ : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ [الأحزاب: ٢٥] ، لكن هذا المعنی الذي یذكره الإمام ابن کثیر رحمه الله تعالى جاء صریحاً فی صحیح البخاری من حدیث سلیمان ابن صرد رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ حِينَ أَجَلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ : ((الآن نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ)) .

قال الإمام ابن کثیر رحمه الله تعالى : ((وكانت فی سنة خمس فی شوالها علی الصحیح من قولي أهل المغازي والسير)) ؛ أي أن هذه الغزوة فی الصحیح من قولي أهل العلم بالسير والمغازي كانت فی شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة ، ومن أهل العلم ومنهم موسى ابن عقبة وابن حزم - وسیأتی تنصيص ابن کثیر علیهما - یرون أنها كانت فی السنة الرابعة ، وأورد أيضاً الإمام ابن کثیر رحمه الله ما احتج به ابن حزم لذلك وبین ضعف ما احتج به من وجهین یأتی ذکرهما عند الإمام ابن کثیر رحمه الله .

قال : ((والدليل على ذلك)) ؛ يعني الدليل على أن غزوة الأحزاب كانت في السنة الخامسة لا الرابعة .

((أنه لا خلاف أن أحدى كانت في شوال من سنة ثلاث ، وقد تقدّم ما ذكره أهل العلم بالمغازي أن أبا سفيان واعدتهم - أي بعد معركة أحد - العام المقبل بداراً ، وأنه ﷺ خرج إليهم)) ؛ ومرت معنا غزوة بدر الموعد التي تسمى أيضاً غزوة بدر الثالثة وأن النبي عليه الصلاة والسلام مع الصحابة الكرام أقاموا في بدر ثمان ليالٍ ولم يلقوا كيدا ولم يأت الكفار إليهم ، وأن الكفار خرجوا إلى أول مكة في مرّ الظهران على بُعد من مكة أربعين كيلومتراً تقريباً ثم قرروا الرجوع وقال لهم أبو سفيان هذه سنة جذب ولعلنا نؤخر ذلك إلى عام خصيب فلم يأتوا إلى المسلمين ، فهذا من الدلائل الواضحة على أن غزوة الأحزاب لم تكن في السنة الرابعة ، وإنما الذي كان في السنة الرابعة هو بدر الموعد ، وفي السنة الخامسة كانت غزوة الأحزاب على الصحيح من قولي أهل العلم .

قال : ((فأخلفوه - أي المشركون - لأجل جذب تلك السنة في بلادهم ، فتأخروا إلى هذا العام)) أي العام الخامس من الهجرة .

((قال أبو محمد ابن حزم الأندلسي في مغازيه : هذا قول أهل المغازي)) ؛ أي أنها في السنة الخامسة .

قال ((والصحيح الذي لا شك فيه أنها في سنة أربع وهو قول موسى ابن عقبة ، ثم احتج ابن حزم بحديث ابن عمر قال : "عُرِضْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أَحَدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يَجْزِنِي ، وَعُرِضْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِي" فَصَحَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا سَنَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ)) ؛ أي لم يكن بين أحد والخندق إلا سنة واحدة . قال : لأن ابن عمر عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَ أَحَدٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يَجْزِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعُرِضَ عَلَيْهِ فِي الْأَحْزَابِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَهُ ﷺ

ثم قال الإمام ابن كثير في تعقب استدلال ابن حزم بهذا الحديث على أنها في السنة الرابعة : ((هذا الحديث مخرّج في الصحيحين)) ؛ أي أنّ الحديث لا شك في صحته وثبوته .

((وليس يدل على ما ادّعاه)) ؛ لماذا لا يدل على ما ادّعاه ؟ ذكر أمرين :

الأول فيما أجاب به ابن كثير على تقرير ابن حزم : قوله ((لأن مناط إجازة الحرب كانت عنده ﷺ خمس عشرة سنة ، فكان لا يجوز من لم يبلغها ، ومن بلغها أجازته)) ؛ يعني خمس عشرة سنة هذا أقل أو أدنى حد يُجاز من بلغ هذا العمر ، فمن فوّقه من باب أولى .
((فلما لم يكن ابن عمر يوم أحد ممن بلغها لم يجزه ، ولما كان قد بلغها يوم الخندق أجازته ، وليس ينفي هذا أن يكون قد زاد عليها سنة أو سنتين أو ثلاث أو أكثر)) ؛ لا ينفي ، لأن معنى قوله "وأنا ابن خمس عشرة سنة " أي ممن بلغوا السن الذي يجازون فيه للقتال ويؤذن لهم فيه بالقتال ، خمسة عشر أو ستة عشر أو سبعة عشر كل هؤلاء يقال عنهم بلغ خمسة عشر سنة ، يعني بلغ سن الإجازة بالقتال والإذن بالقتال .

قال : ((فكأنه قال : عرضتُ عليه يوم الخندق وأنا بالغ أو من أبناء الحرب)) ؛ يعني هذا المراد بقوله "وأنا ابن خمس عشرة سنة " . هذا وجه في الجواب على استدلال ابن حزم .
الوجه الثاني : قال ((وقد قيل إنّه كان يوم أحد في أول الرابعة عشرة من عمره ، ويوم الخندق كان في آخر الخامسة عشرة من عمره)) ؛ فيكون بذلك عُرض على النبي ﷺ وهو ابن أربع عشرة سنة في أولها فلم يجزه ، وعُرض على النبي ﷺ في الأحزاب وهو ابن خمس عشرة سنة في آخرها أي بلغ سن الإجازة بدخول القتال فأجازته عليه الصلاة والسلام ، فيصح بذلك أن المدة أصبحت سنتين لا سنة واحدة .

قال ابن كثير : ((وفي هذا نظر ، والأول أقوى في النظر لمن أمعن وأنصف والله أعلم)) ؛ وعدد من أهل العلم قرروا هذا في الإجابة على قول ابن حزم ، منهم العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه زاد المعاد أجاب عن قول ابن حزم بهذين الوجهين اللذين ذكرهما ابن كثير رحمه الله .

قال رحمه الله :

[وكان سبب غزوة الخندق أن نفراً من يهود بني النضير الذين أجلاهم ﷺ من المدينة إلى خيبر كما قدمنا - وهم أشرافهم : كسلام بن أبي الحقيق ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع وغيرهم - خرجوا إلى قريش بمكة فألّبوهم على حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم النصر فأجابوهم ، ثم خرجوا إلى غطفان فدعّوهم فاستجابوا لهم أيضاً ،

وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب ، وعلى غطفان عيينة بن حصن ، كلهم في نحو عشرة آلاف رجل] .

قال : ((وكان سبب غزوة الخندق أن نفرًا من يهود بني النضير الذين أجلاهم ﷺ من المدينة إلى خيبر كما قدمنا)) ؛ أجلاهم النبي عليه الصلاة والسلام من المدينة بعد غزوة أحد ((وهم أشrafهم : كسّام بن أبي الحقيق ، وسّلام ابن مشكم ، وكنانة ابن الربيع وغيرهم ، خرجوا إلى قريش بمكة فألّبوهم)) ؛ أي أن هؤلاء نفر من اليهود هم الذين قاموا بعملية تخريب الأحزاب وتجميعهم لمقاتلة المسلمين ، فبدؤوا يألّبون قريشاً وغيرهم من أعداء الإسلام والمسلمين على غزو المسلمين ، فذهبوا أولاً إلى قريش ثم ذهبوا إلى غطفان وجمعوا من هنا وهناك واجتمعوا بهذا التآليب في المدينة لمقاتلة المسلمين .

قال : ((فألّبوهم على حرب رسول الله ﷺ ووعدهم من أنفسهم النصر ، فأجابوهم)) فأصبحت الآن الطوائف المقاتلة رؤوسهم : كفار قريش ، وجموع من غطفان ، واليهود ؛ فهؤلاء كلهم تجمعوا وتحزبوا على مقاتلة المسلمين في المدينة .

وهؤلاء نفر من اليهود كما جاء في بعض كتب السير لما ذهبوا إلى كفار قريش في مكة لتأليبهم على المسلمين سألوهم كفار قريش قالوا : أنتم عشتُم مع الرسول ﷺ في المدينة وعرفتم دينه وأنتم أيضاً على معرفة بديننا وأنتم أهل كتاب فأأي الدينين أفضل ؟ ديننا أو دين محمد ؟ فلم يكتفِ هؤلاء نفر من اليهود - مع أنهم أهل الكتاب وأوتوا نصيباً من الكتاب - بمهمة التآليب على النبي ﷺ وإثارة هؤلاء ودعوتهم لمقاتلة المسلمين في المدينة فقط ، بل زادوا إلى ما هو أعظم من ذلك وهو تصحيح مذهب المشركين وقالوا لهم : إن دينكم أهدى سبيلاً وأقوم طريقاً من دين محمد ﷺ وأصحابه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١] .

فلما انتهوا من مهمة تأليب كفار قريش على التوجّه للمدينة لمقاتلة النبي ﷺ وأصحابه ، اتجهوا إلى غطفان في نجد ، قال : ((ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم)) وسلّكوا معهم أيضاً

مسلكاً ؛ بالنسبة لكفار قريش لهم ثأر وانتقام وترصد للنبي ﷺ ومعاداة له ، ودعوة النبي عليه الصلاة والسلام نشأت بينهم . أما غطفان فلهم نظرة أخرى إضافة إلى معاداة الدين وهي مطاعم في خيرات المدينة ، واليهود يعاملون كلاً بحسب مطاعمه ورغباته ؛ فلما ذهبوا إلى غطفان وألبوهم على المسلمين واعدوهم بنصف الثمر ونصف الخيرات إغراءً لهم حتى إنهم قالوا نعطيكم نصف خيرات ثمرات خيبر التي هم عليها .

((فاستجابوا لهم أيضا)) ؛ فجاءوا يدفعهم الطمع وتجمعوا أيضاً عند المدينة لمقاتلة المسلمين .

قال : ((وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان ابن حرب ، وعلى غطفان عيينة ابن حصن ، كلهم في نحو عشرة آلاف رجل)) ؛ جموع مهيلة وأعداد غفيرة وكبيرة جاءت لمقاتلة المسلمين في المدينة .

والله ﷻ ذكر ذلك في سورة الأحزاب ، وسميت بهذا الاسم لأنه ذكر فيها شيء من التفاصيل المتعلقة بهذه الغزوة بدءاً من قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ هذا تجمع المشركين الذي كان في ناحية الشمال ﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾

أي اليهود الذين هم بنو قريظة عندما نقضوا عهد رسول الله ﷺ ، وهذا الذي ذكره ابن كثير نقلاً عن حذيفة بن اليمان ﷺ في معنى الآية ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ ، لكن الله ﷻ

منَّ على المؤمنين الصادقين بالثبات واليقين والثقة بالله والتوكل عليه ﷻ وذكر الله ذلك عنهم بعدها بآيات ، قال : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾ ؛ وقولهم : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ أي أن الله ﷻ وعد بأن يحصل لهم شيء من الزلزلة والإخافة ولكن عاقبتهم هي

النصر ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

[البقرة: ٢١٤] ، ولهذا عدد من المفسرين يقول: المراد بقول الصحابة ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ أي في هذه الآية ؛ أنه يحصل زلزلة وشدة ويأتي عقبها النصر المبين ، وهذا الذي كان في غزوة الأحزاب ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٢٢) مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا (٢٣) ۝ .

وأيضاً انكشف الغطاء وظهر من يُبطن النفاق ويُظهر الإيمان واتضح أمرهم وتجلي أمرهم للناس ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ، وبدءوا يُخَدِّلُونَ ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ أي لا تجلسوا في هذا المكان مع النبي ﷺ وارجعوا إلى مساكنكم ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ الْإِفْرَارَ ﴾ (١٣) وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا سِيرًا ﴾ يعني لو أن المشركين تجمعوا عليهم ودخلوا عليهم من المدينة وسئلوا الفتنة يعني الشرك والكفر بالله لدخلوا في الكفر دخولاً سريعاً ، وهذا عرض وكشف لحال المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويطنون النفاق ، لكن لما تمحص الأمر وجاءت هذه الحقيقة بدأ ينكشف حالهم ، بخلاف أهل الإيمان الذين ثبتهم الله ﷻ بالقول الثابت .

قال رحمه الله :

[فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه أمر المسلمين بحفر خندق يحول بين المشركين وبين المدينة ، وكان ذلك بإشارة سلمان الفارسي ﷺ ، فعمل المسلمون فيه مبادرين هجوم الكفار عليهم ، وكانت في حفره آيات مفصلة يطول شرحها ، وأعلام نبوة قد تواتر خبرها ، فلما كمل قدم المشركون ، فنزلوا حول المدينة كما قال تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ ، وخرج رسول الله ﷺ فتحصن بالخندق وهو في ثلاثة آلاف - على الصحيح - من أهل المدينة . وزعم ابن إسحاق أنه إنما كان في

سبعمائة . وهذا غلط من غزوة أحد ، والله تعالى أعلم . فجعلوا ظهورهم إلى سلع ، وأمر ﷺ بالنساء والذراري فجعلوا في آطام المدينة ، واستخلف عليها ابن أم مكتوم رضي الله عنه . [

ثم قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : ((فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه)) ؛ يعني أنهم بدءوا يتجمعون ويتهيئون للمجيء إلى المدينة لمقاتلة المسلمين فيها .

((أمر المسلمين بحفر خندق يحول بين المشركين وبين المدينة)) ؛ والخندق الغرض منه حماية المدينة من الناحية المكشوفة التي هي الناحية الشمالية ، وذلك للحيلولة بين دخول الأعداء إلى المدينة يئسر وسهولة ، بينما ناحية الغرب وناحية الشرق فهما حرتان - حرة واقم التي هي الحرة الشرقية ، وحرة الوبرة التي هي الحرة الغربية - يصعب على الخيل والإبل والراجلة أن يمشوا معها إلا بصعوبة شديدة ، فوجه النبي عليه الصلاة والسلام بحفر هذا الخندق ليربط بين الحرتين ، والناحية الجنوبية من المدينة فيها المساكن ولاسيما مساكن بني قريظة الذين كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد على المناصرة والمآزرة .

((وكان ذلك بإشارة من سلمان الفارسي رضي الله عنه)) ؛ وسلمان الفارسي قال - كما ذكر في بعض كتب السير - : "كنا في فارس إذا حوصرنا تخندقنا " أي حمينا أنفسنا ممن حاصرنا بالخنادق التي تحول بينه وبين الوصول يئسر وسهولة.

قال : ((فعمل المسلمون فيه مبادرين هجوم الكفار عليهم)) ؛ يستعجلون في الحفر قبل أن يصل الكفار ، لأن المسافة التي ستحفر طويلة جداً ، وآلات الحفر آلات بدائية جداً ، وفي الوقت نفسه كان الجو بارداً ، وكان أيضاً قلة في الطعام ، حتى أنهم في وقت الحفر ما كانوا يجدون الطعام ، بل كان يؤتى بالشعير ويُدهن بالدهن السنيخ - يعني المتغير رائحته ، له رائحة كريهة - فيأكلونه ، والنبي ﷺ كما جاء في صحيح البخاري شارك معهم وكان في بعض الوقت يعصب بطنه بحجر من الجوع .

جاء في بعض كتب السير أن طول الخندق - من مبدئه من الحرتين - خمسة آلاف ذراع ، وخمسة آلاف ذراع تعادل تقريباً اثنين كيلو ونصف . وعرضه تسعة أذرع ، وعمقه ما بين سبعة أذرع إلى عشرة أذرع ، والمتر ذراعين ، فإذا قيل إن عرضه تسعة أذرع فمعنى ذلك أن

عرضه أربعة أمتار ونصف ، والعمق مترين ونصف أو ثلاثة أمتار تقريباً . وآلات الحفر بدائية ، وكان يمر عليهم أثناء الحفر صخور حتى إن الصحابة يجهدون في كسرها فما يستطيعون ، فيستعينون بالنبي صلوات الله وسلامه عليه ، وكان كسره لها أيضا من الآيات التي أشار إليها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

واختلف في مدة الحفر الزمنية ؛ كم يوم مكثوا يحفرون هذا الخندق ؟ ونحن عرفنا أن الخندق يحتاج أن يُحفر في أسرع فرصة وأسرع وقت ، فذكر في هذا أقوال : يقول السهمودي : " وفرغ من الخندق في ستة أيام ، هذا هو المعروف " ، وذكر أقوال غير هذا ، بعضهم قال شهر ، لكن لعل هذا - والله أعلم - هو أقرب ما قيل ، لأن المدة لو طالت تكون فرصة للأعداء أن يكونوا وصلوا إلى المكان .

قال : ((وكانت في حفره آيات مفصلة يطول شرحها ، وأعلام نبوة قد تواتر خبرها)) ؛ يقول ابن إسحاق رحمه الله تعالى في كتابه السيرة : " وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتني فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسوله ﷺ وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون " . ومن ضمن هذه الأخبار قصة جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما وهي في صحيح البخاري يقول ﷺ : ((إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ ، فَعَرَضْتُ كُذْيَةً شَدِيدَةً ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : هَذِهِ كُذْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ ، فَقَالَ : «أَنَا نَازِلٌ» . ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوْقًا ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ ، فَعَادَ كَثِيرًا أَهْيَلٌ أَوْ أَهْيَمَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي : رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ ، فَعِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ : عِنْدِي شَعِيرٌ وَعِنَاقٌ ، فَذَبَحَتِ الْعِنَاقَ ، وَطَخَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَائِي قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ ، فَقُلْتُ : طُعِيمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، قَالَ : «كَمْ هُوَ» فَذَكَرْتُ لَهُ ، قَالَ : " كَثِيرٌ طَيِّبٌ ، قَالَ : قُلْ لَهَا : لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتِي ، فَقَالَ : قُومُوا " فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ : وَيْحَكَ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ ، قَالَتْ : هَلْ سَأَلْتُكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاعَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ ، وَيُحْمَرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَيُقَرَّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ

يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَعْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِّي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ» ؛ فأكل هؤلاء الألف وخرجوا كلهم شباع ، وقال لها ((كلي وأهدي)). وهذه من الآيات التي أشار إليها الحافظ ابن كثير وأعلام نبوة نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

قال الحافظ ابن كثير : ((فلما كُمل - أي حفر الخندق - قدم المشركون فنزلوا حول المدينة كما قال تعالى: {إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} ، وخرج رسول الله ﷺ فتحصن بالخندق وهو في ثلاثة آلاف على الصحيح من أهل المدينة)) ؛ خرجوا معه إلى جهة الخندق ، وكانوا يحفرون كتيب الرمل إلى جهة المدينة ، بحيث يكون خندق ومن جهة المدينة رمل من دون الخندق أيضاً يتترسسون به من الأعداء ، فتحصن بالخندق وهو في ثلاثة آلاف على الصحيح من أهل المدينة .

((وزعم ابن إسحاق أنه إنما كان في سبعمائة . وهذا غلط من غزوة أحد ، والله أعلم)) ؛ وكذا ابن القيم غلط ابن إسحاق في ذلك . لكن الذي وقفت عليه في سيرة ابن إسحاق كما في تهذيب ابن هشام لها ، أنهم خرجوا في ثلاثة آلاف من المسلمين . ((فجعلوا ظهورهم إلى سلع)) ؛ سلع : جبل معروف متصل بالمدينة وهو في الجهة الغربية .

((وأمر ﷺ بالنساء والذراري فجعلوا في آطام المدينة)) ؛ الآطام : هي الحصون . ((واستخلف عليهم ابن أم مكتوم ﷺ)) .

قال رحمه الله :

[وانطلق حيي بن أخطب النضري إلى بني قريظة ، فاجتمع بكعب بن أسد رئيسهم ، فلم يزل به حتى نقض العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ﷺ ، ومالاً كعب المشركين على حرب رسول الله ﷺ ، فسروا بذلك. وبعث رسول الله ﷺ السعدين - ابن معاذ ، وابن عباد - وخوات بن جبير ، وعبد الله بن رواحة ، ليعرفوا له هل نقض بنو قريظة العهد أم لا ، فلما قربوا منهم وجدوهم مجاهرين بالعداوة والغدر ، فتسابوا ، ونال اليهود . عليهم لعائن الله . من رسول الله ﷺ ، فسيبهم سعد بن معاذ وانصرفوا عنهم .

وقد أمرهم ﷺ إن كانوا نقضوا ألا يفتنوا بذلك في أعضاد المسلمين لئلا يورث وهناً ، وأن يلحنوا إليه لحناً . أي لُغزاً . فلما قدموا عليه قال : ما وراءكم ؟ قالوا : عضل والقارة ، يعنون غدرهم بأصحاب الرجيع ، فعظم ذلك على المسلمين واشتد الأمر وعظم الخطر وكانوا كما قال الله تعالى : { هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا } [الأحزاب: ١١] .

قال رحمه الله تعالى : ((وانطلق حيي بن أخطب النضري)) أي من بني النضير وهو زعيم بني النضير .

((إلى بني قريظة ، فاجتمع بكعب بن أسد رئيسهم ، فلم يزل به حتى نقض العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ﷺ)) ؛ وفيما قيل في كتب السير والمغازي أن كعب بن أسد رئيس بني قريظة تمتع كثيراً ، حتى أنه قيل أنه رفض أصلاً أن يفتح له وأن يأذن له بالدخول وقال : مجيئك شؤم علينا و ... الخ ، لكنه لم يزل به يتحايل عليه ويلح عليه ويحاول معه ويغريه ويمتيه حتى وافق على نقض العهد . وقول ابن كثير ((فلم يزل به)) هذا فيه إشارة إلى أنه كانت هناك محاولات مطوّلة من حيي ابن أخطب مع كعب ابن أسد ليوافق على نقض العهد .

قال : ((ومالاً كعب المشركين على حرب رسول الله ﷺ فسُرُّوا بذلك)) ؛ أي سرّ كفار قريش ومن تجمع معهم من الأحزاب بهذا الخبر أن بني قريظة نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ واستعدوا لمعاونة المشركين .

النبي عليه الصلاة والسلام لما سمع بشيء من هذا أرسل من يستطلع الخبر ، فجاء في الصحيحين أنه قال عليه الصلاة والسلام كما جاء في حديث الزبير : ((مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِيَنِي بِخَبَرِهِمْ)) قال الزبير : فَأَنْطَلَقْتُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ - يعني إلى النبي ﷺ - قد أتيت بالخبر - جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَوَيْهِ فَقَالَ : «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» ومرّ معنا في غزوة أحد أن النبي ﷺ جمع أبويه لسعد بن أبي وقاص قال : ((ارم سعد فداك أبي وأمي)) .

قال : ((وبعث رسول الله ﷺ السعدين : ابن معاذ - أي سعد ابن معاذ ، وهو سيد الأوس - ، وابن عباد - أي سعد ابن عباد هو سيد الخزرج - ، وخوات ابن جبير ،

وعبد الله ابن رواحة ، ليعرفوا له هل نقض بنو قريظة العهد أم لا)) يعني يتخاطبوا معهم في هذا الخبر وفي هذا الأمر ، بينما ذهاب الزبير يستطلع .

((فلما قربوا منهم وجدوهم مجاهرين بالعداوة والغدر ، فتسابوا ونال اليهود . عليهم لعائن الله . من رسول الله ﷺ)) أي بالسب والشتم ونحو ذلك .

((فسبهم سعد بن معاذ ، وانصرفوا عنهم)) ؛ قيل إن سعد ابن عبادة قال له : دعهم فإن الأمر الذي بيننا وبينهم أعظم من السب ، فانصرفوا وتركوهم .

((وقد أمرهم ﷺ إن كانوا قد نقضوا - أي العهد - أن لا يفتُّوا ذلك في أعضاد المسلمين لئلا يورث وهناً)) ؛ يعني لا يأتوا بين المسلمين ويقولون أن اليهود نقضت العهد فيفت هذا في أعضادهم .

بل قال : ((يلحنوا إليه لحناً . أي لغزاً .)) ؛ يعني يأتوا له بالخبر بلغز يفهمه عليه الصلاة والسلام .

((فلما قدموا عليه ، قال : ما وراءكم ؟ قالوا : عَصَل والقارة ، يعنون غدرهم بأصحاب الرجيع)) ؛ يعني أن القوم شأنهم كذلك أنهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ .

((فعظم ذلك على المسلمين واشتد الأمر وعظم الخطر وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴾)) .

قال رحمه الله :

[وَتَجُمُ النِّفَاقُ وَكَثُرَ ، وَاسْتَأْذَنَ بَعْضُ بَنِي حَارِثَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الذَّهَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِأَجْلِ بَيوتِهِمْ ، قَالُوا: إِنَّمَا عَوْرَةٌ ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَبَيْنَهَا حَائِلٌ ، وَهُمْ بَنُو سَلَمَةَ بِالْفِشْلِ ، ثُمَّ ثَبَتَ اللَّهُ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ . وَلَبِثَ الْمُشْرِكُونَ مُحَاصِرِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ لِأَجْلِ مَا حَالَ اللَّهُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْخَنْدَقِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ ، إِلَّا أَنْ فَوَارِسَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّ وَجَمَاعَةٌ مَعَهُ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْخَنْدَقِ ، فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَيْهِ قَالُوا : إِنَّ هَذِهِ لِمَكِيدَةٍ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِفُهَا ، ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَكَانًا ضَيِّقًا مِنَ الْخَنْدَقِ فَاقْتَحَمُوهُ وَجَاوَزُوهُ ، وَجَالَتْ بِهِمْ خَيْلُهُمْ فِي السَّبِيخَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ ، وَدَعَوْا إِلَى الْبِرَازِ ، فَانْتَدَبَ

لعمرو بن عبد ود علي بن أبي طالب ﷺ فبارزه فقتله الله على يديه ، وكان عمرو لا يجارى في الجاهلية شجاعة ، وكان شيخاً قد جاوز المائة يومئذ ، وأما الباكون فينطلقون راجعين إلى قومهم من حيث جاؤوا ، وكان هذا أول ما فتح الله من خذلانهم . وكان شعار المسلمين تلك الغزوة : (حم لا يُنصرون) [.

قال رحمه الله تعالى : ((ونجم النفاق وكثر)) ؛ يعني برز وظهر النفاق واستعلن المنافقون بأمر تدل على عدم إيمانهم وتصديقهم للرسول عليه الصلاة والسلام ، فنكصوا بأنفسهم وأخذوا يخذلون عن النبي ﷺ ويعوّقون ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ [الأحزاب: ١٨] ، وجاء ذكر ذلك في سورة الأحزاب في الآيات التي أشرت إليها ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١٢) ، حتى نقلوا عن بعضهم أنه كان يقول : يعدنا بأن نحصل على كنوز كسرى وقيصر ونحن لا نستطيع الواحد منا الآن أن يقضي حاجته !! ويذكرون كلاماً من هذا القبيل إظهاراً للتكذيب وعدم التصديق وتحذيراً للمؤمنين عن مناصرة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

قال : ((واستأذن بعض بني حارثة رسول الله ﷺ في الذهاب إلى المدينة لأجل بيوتهم ، قالوا : إنها عورة - أي مكشوفة ونخشى عليها من العدو - ليس بين العدو وبينها حائل ، وهم بنو سلمة بالفشل ، ثم ثبت الله تعالى كلتا الطائفتين)) .

قال : ((ولبث المشركون محاصرين رسول الله ﷺ شهراً)) أي أن مدة الحصار على خلاف أيضاً بين أهل المغازي في تحديد المدة .

((ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من أمر الخندق بينهم وبينهم)) ؛ فلم يكن هناك قتال ومبارزة والتقاء للصفين وإنما كانت هناك مناوشات من بعيد - يعني من وراء الخندق - بالنبل والحجارة .

قال : ((إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود العامري وجماعة معه أقبلوا نحو الخندق ، فلما وقفوا عليه قالوا : إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تعرفها)) ؛ وعرفنا أن سلمان الفارسي أشار على النبي ﷺ بها .

قال : ((ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فاقتحموه وجاوزوه ، وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وطلع ودعوا إلى البراز)) ؛ يعني طلبوا من يتقدم للمبارزة .
((فانتدب لعمر بن عبد ود علي بن أبي طالب ﷺ فبارزه)) ؛ كان أول من تقدم من هؤلاء نفر من المشركين عمرو ابن عبد ود ، وذكر عنه وهذا أشار إليه الحافظ ابن كثير قال : ((وكان عمرو لا يجارى في الجاهلية شجاعة)) وذكر أيضاً في بعض كتبه ابن كثير قال : " وكان من الفرسان الشجعان المشهورين " . فطلب من يبارزه فتقدم إليه علي بن أبي طالب ﷺ .

قال : ((فقتله الله على يديه)) ؛ يعني على يدي علي بن أبي طالب .
((وكان عمرو لا يجارى في الجاهلية شجاعة وكان شيخاً قد جاوز المئة يومئذ)) ؛ وهذه عجيبة ، كان شيخاً عمره أكبر من مئة سنة !! وعلى الخيل !! ويقفز الخندق !! أول شخص يقفز الخندق ويتقدم ، وأمامه جيش المسلمين والخندق وراءه ويقول من يبارز ؟! ثم لما تقدم علي قام وعقر الخيل ونزل وتقدم للمبارزة ، فكان يوصف بشجاعة عجيبة وإقدام لكنها في باطل وكفر وصد عن دين الله ﷻ ، وقتله الله ﷻ على يد علي بن أبي طالب .
قال : ((وأما الباقيون فينطلقون راجعين إلى قومهم)) ؛ نفر الذين كانوا معه اقتحموا الخندق لما رأوا صاحبهم تركوه صريعاً قتيلاً وخرجوا من المكان الذي دخلوا منه ورجعوا إلى صف المشركين .

((وكان هذا أول ما فتح الله من خذلانهم)) ؛ كانت هذه من أول مبشرات النصر وخذلان هؤلاء .

وهذا الذي ذكره ابن كثير هنا من قصة عمرو لم يأت بأسانيد متصلة صحيحة يعتمد عليها المحدثون لكنها روايات في كتب السير وهي مراسيل ، لكن بعض أهل العلم مثل هذه الأمور يمشي في الأخبار والسير البحث التي لا يتعلق بها أحكام فقهية أو مسائل فقهية تستنبط منها .

قال : ((وكان شعار المسلمين تلك الغزوة : حم لا يُنصرون)) ؛ ومرر معنا شعارهم في غزوة أحد " أمت " ، وهنا شعارهم (حم لا يُنصرون) بحيث يميز بعضهم بعضاً ، بحيث لو حصل أي أمر يلتفت الشخص إلى صاحبه ويسأله فيعطيه الشعار فيعرف أنه من أصحابه .

وفي قصة حذيفة بن اليمان - لعله سيشير لها ابن كثير لاحقاً - أمره النبي عليه الصلاة والسلام أن يستطلع حال المشركين في آخر الأمر ، فلاذ ﷺ من طريق ودخل بينهم معهم وأصبح يسمع حديثهم وكأنه واحد من الموجودين، فأراد أبو سفيان أن يحدثهم بشيء خاص . قال : "كل واحد منكم يعرف صاحبه " . يقول حذيفة فالتفتت إلى من جوارى مباشرة وقلت له من أنت ؟ قال : أنا فلان . لكن يبدوا أنه ما كان بينهم شعار يُعرفون به ، قال أنا فلان ومضى الأمر . وستأتي قصته في نهاية الغزوة . ففائدة الشعار أنه في أي حالة يُعرف هل في الصف شخص مهندس ؟ .